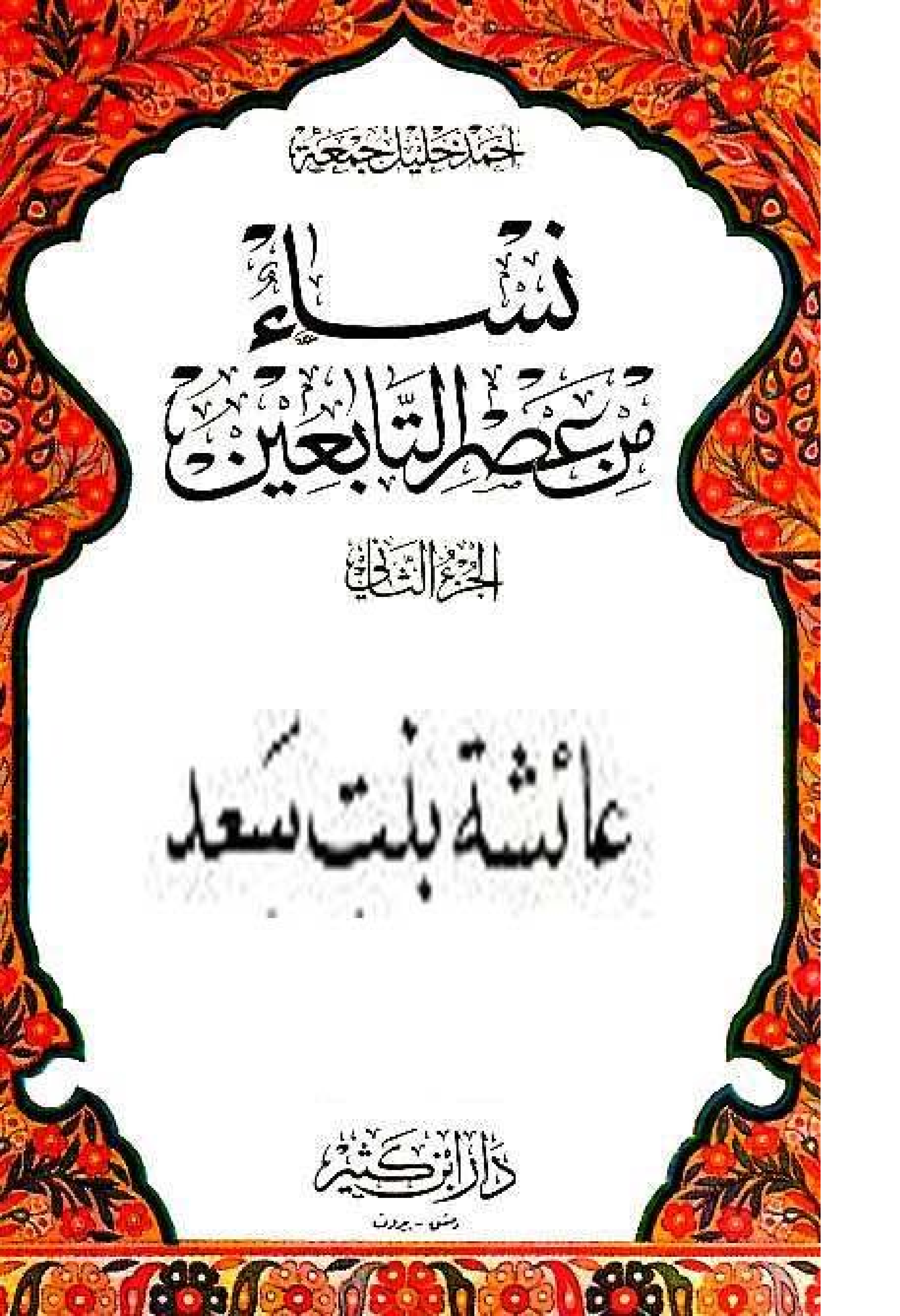

أحمد خليل جمعة
نساء من عصر التابعين
الجزء الثاني
عائشة بنت سعد
دار ابن كثير
دمشق - بيروت

( ٥ )

# عائشة بنت سعد

- قال العجلي :

عائشة بنت سعد : مدنية ، تابعية ، ثقة .

- أبوها سعد بن أبي وقاص ، راوية للحديث النبوي الشريف ، أدركت ستاً من أزواج النبي ﷺ ، محبّة للعلم .

# عَائِشَةُ بِنْتُ سَعْدٍ

## كَلِمَاتٌ فِي البِدَايَةِ :

* ما من شك في أنّ للنساء أثراً مشكوراً في نَشْر حديث رسول الله ﷺ ، فلم تكنْ مجالسه ﷺ قاصرةً على الرِّجال ، بل كان كثير من النّسوة يحضرن فيستمعن إلى حديثه الشّريف ، وخصوصاً في المناسبات العامة ، كصلاةِ العيد إذ كُنَّ يخرجن جميعاً إلى المصلّى لاستماع الموعظة النّبويّة .

* إلا أنّ المجالسَ النّبويّة كانت الغلبة فيها للرِّجالِ دون النّساءِ ، لذلك جاء وفدُ النّساء إلى رسول اللهِ ﷺ ، وطلبن إليه أنْ يجعلَ لهنّ يوماً يعلّمهنّ فيه ، فكان يجيبهنّ إلى ذلك .

* وقد كان لزوجات النّبي الطّاهرات ـ رضي الله عنهن ـ فَضْل كبير في تبليغ أحكام الدّين ، ونَشْر السُّنَن بين نساء المؤمنين لا سيما ما كان من أمّ المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ التي كانت على مقدار عظيم من الذّكاء والحفْظِ والفهم والمعرفة ، ولا ريب في أنّ نساء النّبي ﷺ كنّ جميعاً قسيمات عائشة في إذاعة العلم ، وإفاضة الدِّين على المسلمين ، فقد أمرهن الله عزّ وجلّ بالاستقرار في بيوتهن ومدارسة القرآن الكريم ، والسُّنّةِ الغرّاء في قوله عزّ وجلّ : ﴿ وقرنَ في بيوتكن ولا تبرجن

تبرجَ الجاهلية الأولى ﴾ إلى أن قال : ﴿ واذكرن ما يُتلى في بيوتكن من آيات اللهِ والحكمة ... ﴾ [ الأحزاب : ٣٣ و ٣٤ ] .

* لذا كان لأمّهات المؤمنين ــ رضي الله عنهن ــ أثرٌ فعّال في نَشْرِ السُّنَّة ، ولولاهن لضاعت أحاديث وأحكام ما كنّا لنطّلع عليها أو تصلنا من غيرهن لا سيما الأفعال التي تقع بين النَّبي ﷺ وأزواجه ، مما لا يمكن لأحد الاطلاع عليها ، والوقوف على أحكامها .

* وكان لأمّهات المؤمنين[1] ــ رضي الله عنهن ــ طالبات نجيبات من النساء اللواتي روين عنهن ، ومن هؤلاء النّسوة ؛ امرأة جليلة القَدْر ، امتازت بالصِّدق في العلم ، والأمانة في الرّواية ، تلكم هي عائشة بنت سعد بن أبي وقاص الزّهرية المدنيّة[2] . إحدى النّساء التّابعيات المتفوّقات عِلْماً وفَضْلاً ، وحفظاً ورواية .

* * *

(١) لم تكن أمّهات المؤمنين ــ رضي الله عنهن ــ وحدهن في هذا المجال في عصرهن وما تلاه ، بل كن كثيرات ، وقد عَقَد محمّد بن سعد ــ رحمه الله ــ جزءاً خاصاً من كتابه « الطّبقات الكبرى » لروايات الحديث من النّساء أتى فيه على أكثر من سبعمئة امرأة روين عن النبي ﷺ أو عن الثقات من أصحابه ، وروى عنهن أعلام الدِّين وأئمة المسلمين وأفاضلهم .. .. واستمرت رواية الحديث للنّساء إلى عَصْرٍ متأخر ، ذلكم أنّ الحافظ المشهور والمؤرخ الكبير ، الإمام ابن عساكر المتوفى سنة ( ٥٧١ هـ ) وهو أوثق رواة الحديث ، وأصدقهم حديثاً ، لقب بحافظ الأمة ، كان له من شيوخه وأساتذته بعض وثمانون من النّساء .. وأمّا شيوخه من الرجال فيزيدون عن المئات .

(٢) الطبقات ( ٤٦٧/٨ ) ، وتقريب التهذيب ( ٦٠٦/٢ ) ، وشذرات الذهب ( ٨٢/٢ ) .

## النَّشأةُ العِلْمِيَّةُ :

* في أواخر[1] خلافة سيدنا عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ ، ولدت عائشة ابنة سعد بن أبي وقاص في المدينة المنوّرة ، وكانت المدينة إذ ذاك موئل الصّحابة والعلماء ، ومنبع الحديث والمحدّثين ، وفي مقدمتهم عائشة أمّ المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ .

* ونشأت عائشة بنت سعد على حب العلم والرّواية منذ نعومة أظفارها ، وصُنعت على عيني والدها سعد ، أحد العشرة المبشرين بالجنّةِ ، وأحد السّابقين الأوّلين إلى ساحة الإسلام ، وأُحَدُ مَنْ شهد بدراً والحُديبية ، وأحد السّتة أهل الشُّورى ، وفضائله كثيرة شهيرة ، وكانت ابنته عائشة ـ رحمها الله ـ تفخر به وتقول :

أنا ابنة المهاجر الذي فداه رسول الله ﷺ يوم أحد بالأبوين[2] .

* وإلى جانب هذه الفضائل ، وهاتيك الخصال الحميدة ، روى سعد عن النبي ﷺ فأكثر وأطاب وأجاد ، إذ رَوَى عنه ( ٢٧٠ ) حديثاً ، وقد روت عائشة أوّل ما روتْ عن أبيها ـ رضي الله عنه ـ ،

---

(١) ولدت عائشة سنة ( ٣٣ هـ ) .

(٢) البداية والنهاية ( ٧٦/٨ ) ، وسير أعلام النبلاء ( ١٠١/١ ) . وفي الصّحيح أنّ سعيد بن المسيب قال : سمعت سعداً يقول : نثل ـ استخرج ـ لي رسول الله ﷺ كنانته يوم أحد وقال : « ارم فداك أبي وأمي » أخرجه البخاري في مواضع منها ( ٤٠٥٥ ) و ( ٤٠٥٦ ) و ( ٤٠٥٧ ) في المغازي ، وقبله ( ٣٧٢٥ ) في الفضائل ؛ ومسلم ( ٢٤١٢ ) في الفضائل ، والترمذي ( ٣٧٥٤ ) و ( ٣٧٥٥ ) ، وابن ماجه ( ١٢٩ ) و ( ١٣٠ ) ، وأحمد ( ٩٢/١ و ١٢٤ و ١٣٦ و ١٣٧ ) .

وعن عدّة من أزواج النّبي ﷺ ، فقد روى أيوب السّختياني ــ رحمه الله ــ عن عائشة بنت سعد أنها قالت : أدركتُ ستاً من أزواج النّبيّ ﷺ[1] .

* وروت عائشة كذلك عنْ أم ذرّة المدنيّة ، وأمّ ذرّة هذه راوية من راويات الحديثِ الثّقاتِ ، كانت مولاةً لعائشةَ أمّ المؤمنين ــ رضي الله عنها ــ .

* أمّا مَنْ روى الحديث عن عائشةَ بنتِ سعد فكُثُر منهم : الجعد بن عبد الرحمن ، وأيّوب السّختياني ، والحكم بن عُتَيبة ، وأبو الزّناد ، ومهاجر بن مسمار ، وعبيدة بن نابل ، ومالك بن أنس[2] وآخرون .

* والحقيقة : إنَّ امرأة من تلامذتها ورواتها الإمام مالك لكبيرةُ الشّأن في العلم ، عالية القدر في الفقه ، ومن الجدير بالذكر أن الإمام مالك ــ رحمه الله ــ لم يروِ عن امرأة غيرها[3] .

---

(١) المعرفة والتّاريخ للبسويّ ( ٣/١٩ ) .

(٢) مالك بن أنس بن مالك الأصبحيّ الحميريّ ، أبو عبد الله ، المدنيّ ، الفقيه : إمام دار الهجرة ، وأحد الأئمة الأربعة ، وإليه تُنسب المالكية . كان رأس المتقين ، وكبير المثبتين ، ولد بالمدينة سنة ( ٩٣ هـ ) ، كان صلباً في دينه ، وكان معظّماً عند هارون الرّشيد ، صنّف « الموطأ » وله كتب كثيرة ، وألفت حوله كتبٌ عديدة أشهرها في العصر الحديث « مالك بن أنس » لمحمد أبي زهرة ، ومناقبه كثيرة جداً . توفي بالمدينة المنوّرة سنة ( ١٧٩ هـ ) وله ست وثمانون سنة ــ رحمه الله تعالى ــ .
( تقريب التهذيب : ٢/٢٢٣ ) ، و ( الأعلام : ٥/٢٥٧ و ٢٥٨ ) .

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ( ٨/٥٢ ) .

* وكانت عائشة ـ رحمها الله ـ من ثقات راويات الحديث النّبويّ الشّريف ، قال عنها العجليّ : عائشة بنت سعد مَدَنيَّةٌ ، تابعيَّةٌ ، ثقة ، أمّا ابن حبّان ـ رحمه الله ـ فقد ذكرها في الثقات ، وقد روى لها الإمام البخاري وغيره .

* * *

## عِبَادَتُهَا وَصَلَاتُهَا فِي المَسْجِدِ :

* إلى جانب الرّواية والفقهِ ، كانت عائشة بنت سعد ـ رحمها الله ـ من النّساء اللاتي وهبن أنفسهن للعبادة والصّلاة ، والمحافظة على أداء الصّلوات في المسجد النّبوي الشّريف ، لأن صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد ، وكثيراً ما كانت تشهد صلاتي الصُّبح والعشاء في المسجدِ[1] ، ويدلُّ على هذا ما ذكره حبيب بن أبي مرزوق قال :

---

(١) مما يفيدُ قوله في هذا المقام ما يقوله الفقهاء بأنه يجوز للنّساء الخروج إلى المساجد ، وشهود الجماعة ، بشرط أنْ يتجنبْنَ ما يثيرُ الشّهوة ويدعو إلى الفتنة من الزّينة والطِّيب وما شابه ذلك . فعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ النّبيَّ ﷺ قال : « لا تمنعوا النّساء أنْ يخرجنَ إلى المساجد ، وبيوتهن خير لهن » رواه أحمد وأبو داود .
وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال : « أيّما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخرة » رواه مسلم وأبو داود والنّسائي بإسناد حسن .
والأفضل للنّساء والأقوم لهن الصّلاة في بيوتهن . روى الإمام أحمد والطّبراني عن أم حُميد السّاعدية أنّها جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إني أحبُّ الصّلاة معك ؛ فقال ﷺ : « قد علمتُ ، وصلاتُكِ في حجرتكِ خير لكِ من صلاتِكِ في مسجد قومِكِ ، وصلاتك في مسجد قومك خير لك من صلاتك في مسجد الجماعة » .

لقيت امرأة بالمدينة معها نسوة ، وضوء نار ـ يعني شمعة ـ خارجة من المسجد ، فسألتُ عنها فقالوا : هذه بنت سعد بن أبي وقّاص .

* * *

## عائِشَةُ وشَخْصِيَّةُ أبِيهَا :

* عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال :

كنّا مع رسول الله ﷺ ، إذ أقبل سعدُ بن مالك ـ اسم أبي وقاص مالك ـ فقال رسول الله ﷺ :

« هذا خالي فليُرِني امرؤٌ خالَه[1] » .

* وهذا النَّسب الطّاهر ، وهذه القرابة الشَّريفة لسعد من جهة أمّ النبي ﷺ ، وهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف الزّهرية ابنة عم أبي وقاص ، لذلك كان عليه الصّلاة والسّلام يقول عن سعد : « هذا خالي » .

* وبعد هذا ، حقٌّ لنا إذن أنْ نقولَ عن عائشة بنت سعد بأنها ابنة خال رسول الله ﷺ ، فأكرم بهذا الشَّرف ! وأعظم به ! .

* وقد وصفَتْ عائشةُ والدها وصفاً دقيقاً ، كان عمدة الكتّاب والمؤرخين في معرفة صورته ، إذ أعطت ملامح دقيقة عن شخصيته وشكله فقال :

---

(١) أخرجه الترمذي في المناقب ( ٣٧٥٣ ) ، وانظر البداية والنهاية ( ٨/٧٨ ) .

كان أبي رجلاً دَحْدَاحاً _ قصيراً _ غليظاً ذا هامةٍ ، شَثْنَ الأصابع _ غليظها بلا قصر _ أشعر ، وكان يخضب بالسّواد[1] .

* ولما بعث رسول الله ﷺ سرية فيها سعد بن أبي وقاص إلى جانب من الحجاز ، يُدعى « رابغ » انكفأ المشركون على المسلمين ، فحماهم سعد يومئذ بسهامه ، فكان هذا أول قتال في الإسلام . وروتْ عائشة ابنته أنَّ أباها قال يومئذ :

ألا هــــلْ أتى رســـــول اللهِ أنّي
حميْتُ صحـــابتي بصـــدورِ نَبْلي
أذودُ بهـــا عـــدوّهـــمُ ذيـــاداً
بكـــلِّ حُزُونـةٍ وبكـــلِّ ســـهـلِ
فمـــا يعتـــدُّ رامٍ منْ مَعـــدّ
بسـهـمٍ مع رسـول اللهِ قبـلي[2]

* ومما روته عائشة _ رحمها الله _ عن أحوال والدها أنّها قالت : قال سعد :

اشتكيتُ بمكـةَ ، فدخـل عليَّ رسـولُ الله ﷺ يعودني ، فمسح وجهي وصدري وبطني وقال : « اللهم اشفِ سعداً » ، فما زلتُ يُخيّلُ إليَّ أنّي أجد بَرْدَ يدهِ ﷺ على كبدي حتى السّاعة[3] .

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ( ٣/١٤٣ ) .
(٢) الطبقات ( ٣/١٤٢ ) .
(٣) سير أعلام النبلاء ( ١/١١٠ ) ، والحديث أخرجه البخاري ( ٥٦٥٩ ) ، والنسائي ( ٦/٢٤١ ) .

* ومن خلال أخبار عائشة عن والدها ، يمكن لنا أنْ نعرفَ جوانب هامة عن حياة هذا الصَّحابي الكريم ، فقد أُخبرتنا عن أعماله ، وغزواته ، وأمواله ، وذكرت وفاته وغير ذلك مما يدلُّ على اهتمامها بتبليغ العلم ، ونشر فضائل الصَّحابة الكرام عن هذا الطريق ، والآن ، لنقرأ سوياً هذه الفقرات الكاشفة التي تحدّدُ فيها عائشة مكان وفاة والدها .

قالت عائشة :

مات أبي رحمه الله في قصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة ، فحُملَ إلى المدينة على رقاب الرّجال ، وصلى عليه مروان بن الحكم وهو والي المدينة وذلك في سنة ( ٥٥ هـ ) ، وترك يوم مات مئتي ألف وخمسين ألفاً[١] .

* * *

## مَعَ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِيْنَ :

* تشيرُ أخبار عائشة بنت سعد ـ رحمها الله ـ إلى أنَّها كانت على صلَة دائمة بزوجات النّبيّ ﷺ ، وأنّها كانت تدخل عليهن ، فيكرمنها ، وربما دعون لها بالبركة ، وقد نقلت إلينا هذه التّابعية بعض الصُّور التي تتعلّقُ ببعضِ القواعد الشّرعية ، والأحكام الإسلامية ، من ذلك ما أخرجه محمّد بن سعد بسنده عنها أنها قالت :

أدركتُ ستاً من أزواج النّبي ﷺ ، وكنت أكون معهن ، فما رأيت

---

(١) الطبقات ( ١٤٨/٣ و ١٤٩ ) ، وسير أعلام النبلاء ( ١٢٣/١ ) .

على امرأة منهن ثوباً أبيض ، وكنتُ أدخل عليهن وعليَّ الحُلل فلا يعبْنَ ذلك عليَّ فقيل لها : ما هو ؟ .

قالت : قلائد الذّهب ومزيقيات الذّهب ، فلا يعبن ذلك عليَّ .

* وعن فقه عائشة بنت سعد وخصوصاً في الوضوء ، حدثت عبيدة بنت نابل عن ذلك فقالت : كان لعائشة بنت سعد خاتمان من وَرِق ـ فضة ـ في اللتين تليان الخنصر ، فكانت إذا توضأت أجالَتْهما .

* ولعلَّ عائشة بنت سعد ـ رحمها الله ـ ، كانت في صلاتها وفي نوافلها لا تخرج عما كانت عليه أمّ المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ ، فقد أخرج الإمام أحمد بسنده ، عن عائشة بنت سعد عن أمّ ذرّة قالت : رأيتُ عائشة ـ رضي الله عنها ـ تصلّي الضّحى وتقول : ما رأيت رسول الله ﷺ يصلي إلا أربع ركعات[1] .

* وفي سنة ( ١١٧ هـ )[2] لقيت عائشة بنت سعد ربّها ؛ بعد أن قضت قرابة تسعين عاماً إلا قليلاً قضتها في العلم والرّواية ، وكانت آخر مَنْ بقي من بنات المهاجرين ، فقالت :

واللهِ ما بقيَ على وَجْهِ الأرض بنت مهاجر ولا مهاجرة غيري .

* رحم الله عائشة بنت سعد ، وجعلها مع الذين سُعدوا في الجنّةِ خالدين فيها .

* * *

(١) رواه أحمد في المسند ( ٦/١٠٦ ) .

(٢) الكامل في التاريخ ( ٥/١٩٥ ) .